

الدكتور محمد الوادي
مستر الأدب المغربي وجدلية الإبداع والنقد
الفصل الثاني/ 2019 - 2020
مادة مقارنة لسانية لإيقتاعات الشعر العربي

الأبنية المقطعية للقوافي في القصيدة العمودية

1. تعريف القافية في القصيدة العمودية

القافية في اصطلاح الخليل هي: " عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة، ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول"¹ ويستفاد من هذا التعريف، أن القافية في القصيدة العمودية، هي ما يقع بين المقطعين الثقيلين الأخيرين في البيت الشعري، فالمراد بالمتحرك الذي قبل الساكن الأول، أي أن المقطع الثقيل الأول الذي تبدأ به القافية يبدأ بساكن (= صامت)، و ينتهي بأخر تتوسطهما حركة، كنا في قول امرئ القيس:

قَمَانِيكَ مِنْ ذَكَرِي حَيْبٍ وَمَنْزِلِ بِسَقَطِ اللَّوِيِّ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمِلِ
تَرَى بَعْرَ الْأَرَامِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيَعَانِهَا كَأَنَّهَا حَبٌّ قُلْفَلِ

فالمقطعان الثقيلان اللذان يمثلان القافية في هذين البيتين واردان في كلمتي: حَوْمِلِ و قُلْفَلِ، كما في هذا التحليل المقطعي:²

ح - و - م - ل - ي ف - ل - ف - ل - ي
[س ح س ح س ح س # #] [س ح س ح س ح س # #]

¹ نقلا عن الدماميني، الغامزة، ص. 238.

² نستعمل الرمز المزدوج (# #) للدلالة على حدود القافية في البيت الشعري.

وقد اختلف العروضيون القدامى في تحديد حدود القافية، فقد ذكر عبد الملك الأسفراييني اثنا عشر قولاً في هذا الموضوع،³ من بينها قول للأخفش يحصر القافية في الكلمة الأخيرة في البيت، مثل كلمة: حَمَلٍ، في مطلع قصيدة امرئ القيس، قال: "اعلم أن القافية آخر كلمة في البيت، وإنما قيل لها قافية لأنها تقفو الكلام." ⁴ و قد اعترض على هذا القول، فذهب بعض العروضيين، من بينهم الخليل، إلى أن القافية قد تتجاوز حد الكلمة الواحدة إلى جزء من كلمة أخرى قبلها، كما هو الحال في قول العجاج:⁵

قَدْ جَرَّ الدِّينَ الإِلهَ فَجَجَرَ

فالقافية هنا، تبدأ من المقطع الثقيل الأخير الذي في آخر كلمة الإلاه⁶ وتنتهي بالمقطع الثقيل الذي تنتهي به كلمة: فَجَجَرَ، كما هو مبين في التمثيل العروضي والمقطعي:⁶

البناء العروضي: [لاَ اَهُ # فَ جَ بَ رَ # #]
البناء المقطعي: [س ح س س ح . س ح . س ح س س # #]
القافية: [ث . خ . خ . خ . ث . # #]

وقد تتكون القافية من كلمتين منفصلتين متجاورتين في آخر البيت، قال الدماميني:⁷ "ثم القافية عند الخليل قد تكون ... كلمتين كقوله:⁷

كجلمود صخر حطه السيل من علٍ

³ الكافي الوافي بعلم القوافي، ص. 33-36.

⁴ الأخفش، كتاب القوافي، ص. 1.

⁵ الكافي الوافي بعلم القوافي، ص. 34، والونفي بمعرفة القوافي للأصبحي، ص. 58.

⁶ حيث تمثل للقافية بما يوجد من مقاطع بين المعقوفتين: [...]، و تمثل لحد الكلمة، كما في الصوارة التوليدية، بالرمز (#)، ولحد القافية بالرمز: (# #).

⁷ الغامزة، ص. 241، والشاهد هو عجز بيت لامرئ القيس، يقول في صدره: مكر مفر مقبل مدبر

فكافية هذا البيت تتكون من كلمتين هما: مُنْ، و: عَلِيٌّ، والكلمتان معا تشكلان نوعا من القوافي في الشعر العربي يسميه العروضيون **كافية المتدارك**، وهي كل قافية تبدأ بمقطع ثقيل، وتنتهي بآخر، يفصل بينهما مقطع خفيف، وهو ما يمكن أن نمثل كالتالي:

البناء العروضي : [م - ن # ع - ل - ي # #]
 البناء المقطعي : [س ح س . س ح . س ح س # #]
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

وقد تكون القافية جزءا من كلمة فقط، كما في قول امرئ القيس أيضا:

:

ويَلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ

فالقافية في هذا البيت هي بعض من كلمة المثلث، كما هو مبين في هذا التحليل العروضي والمقطعي لهذه الكلمة:

البناء العروضي : # ل م ؤ [ث - ق - ق - ل - ي # #]
 البناء المقطعي : [س ح س . س ح . س ح س # #]
 القافية : [ث . خ . ث . # #]

وبناء على ما تقدم، لا يمكن أن نبنى حدود القافية في الشعر العمودي على مفهوم الكلمة كما ذهب إلى ذلك الأخفش، وإنما على مفهوم المقطع الغائب في تعريف العروضيين القدامى للقافية، وانطلاقا من هذه الوحدة البروزودية (prosodic unit) التي هي المقطع (syllable) في الصواتة البروزودية (prosodic phonology)، فإننا نعتبر القافية في القصيدة العمودية هي كل ما يوجد من مقاطع خفيفة بين المقطعين الثقيلين في آخر البيت، مع الإشارة إل نوع ثان من القوافي من القوافي، يبدأ بمقطع ثقيل وينتهي بمقطع مديد، تسمى في اصطلاح العروضيين القدامى **قافية المترادف**، وسنناقش شرعية هذا النوع من القوافي في الشعر العربي في آخر هذا البحث.

2. أنواع القوافي في القصيدة العمودية

على الرغم من اختلاف الأوزان التي تأتي عليها القوافي في القصيدة العمودية، فقد حصر العروضيون هذه الأوزان في خمسة أنواع من القوافي، قال الأخفش في باب عِدَّة القوافي: " وهي ثلاثون قافية يجمعها خمسة أسماء: مُتَكَوَسٌ، مُتَرَكَبٌ، مُتَدَارِكٌ، مُتَوَاتِرٌ، مُتَرَادِفٌ." ⁸ وسنبن في هذا التحليل المقطعي للقوافي في الشعر العربي، أن هذا الترتيب لأنواع القوافي يتعلق بما يفصل بين المقطعين الثقيلين من مقاطع خفيفة، حيث يبلغ عدد هذه الأخيرة ثلاثة في قافية المتكاوس، ومقطعان خفيفان في قافية المتدارك، ومقطع خفيف واحد في قافية المتدارك، إلى أن يتجاوز المقطعان الثقيلان بدون فاصل في قافية المتواتر، أو تبدأ القافية بمقطع ثقيل وتنتهي بمقطع مديد، كما هو الحال في قافية المترادف.

2.1. البناء المقطعي لقافية المتكاوس:

قال الأخفش: " فللمتكاوس منها واحدة، ⁹ وهي كل قافية توالى فيها أربع متحركات بين ساكنين، وذلك فَعَلَتُ نُنْ، أربعة أحرف متحركة بين نونها ونون الجزء الذي قبلها." ¹⁰ أي: أن بين نون المقطع الثقيل الذي ينتهي به الجزء: مُسْتَفْعَلُنْ ونون فَعَلَتُنْ ¹¹ أربعة صوامت متحركة، وبعبارة أخرى: المتكاوس هو كل قافية يوجد فيها ثلاثة مقاطع خفيفة بين المقطعين الثقيلين للقافية، ويمكن أن نمثل لذلك كالتالي: ¹²

⁸ الأخفش، كتاب القوافي، ص. 8.

⁹ يريد الأخفش بواحدة:، تفعللة واحدة وهي هَفَاغَ لَسْتُنْ.

¹⁰ الأخفش، كتاب القوافي، ص. 8. ولم يحدد الأخفش الجزء الواقع قبل فَعَلَتُنْ، ولكنه أشار إلى أنه محتوم بسبب خفيف، أي:

نُنْ)، وقد اخترنا نفس الجزء في تحديدها لهذا النوع من قوافي المتكاوس المركب من جزأين.

¹¹ جاء في الوافي بمعرفة القوافي للأصمعي، (ص. 58) أن قافية المتكاوس لا تظهر إلا في الرجز عندما تأتي فَعَلَتُنْ بعد مستفعلن.

¹² يشير الرمز (#) إلى أول الجزء، والرمز المزدوج (##) إلى حد القافية، وما يوجد من مقاطع ثقيلة وخفيفة بين المعقوفتين هو الذي يحدد نوع القافية.

• قافية المتكاوس في: مُسْتَفْعَلُنْ # فَعَلَتْ نْ

الوزن : مُسْتَفْعَلُنْ فَعَلَتْ نْ

البناء العروضي: # م _ س _ ت _ ف _ ع _ ل [ل _ ن # ف _ ع _ ل _ ت _ ن # #]

البناء المقطعي : [س ح س # س ح . س ح . س ح . س ح س # #]

القافية : [ث . خ . خ . خ . ث . # #]

ومن أمثلة قافية المتكاوس أيضا، قول [الرجز]:¹³

وِثْقَلٍ مَدَّعٍ خَيْرٍ طَلَبٍ وَعَجَلٍ مَدَّعٍ خَيْرٍ تُوَدَّهٍ

ويمكن أن نمثل للبناء العروضي والمقطعي لهذه القافية على هذا النحو:

البناء العروضي: # خ _ ي _ ر _ # ت _ ء _ د _ ه _ # #

البناء المقطعي : [س ح س س ح . س ح . س ح . س ح س # #]

القافية : [ث . خ . خ . خ . ث . # #]

ويتضح مما تقدم، أن قافية المتكاوس، تظهر في القصيدة العمودية في قافية البحر الرجز، وأنها تقع بين حشو وضرب المصراع الثاني، وأن الجزء الأخير من هذا البيت يأتي محبولا على وزن: فَطُنْ، حيث يتتابع ثلاثة متحركات، وليس أربعة كما زعم الأخفش، وأن هذه المتحركات تشكل ثلاثة مقاطع خفيفة، تفصل بين المقطعين الثقيلين لهذه القافية، الأول هو: [ل _ ن] من مستفعلن الواقع حشوا، والثاني هو: [ل _ ن] من: فَطُنْ في الضرب. ويبقى السؤال هو: ما علاقة هذه الخصائص العروضية والمقطعية بمصطلح «متكاوس» عند العروضيين؟

¹³الكافي الوافي بعلم الفواهي، ص. 71.